**إيرين بالومو أمات**

باحث متخصص في شؤون أمريكا اللاتينية
– برشلونة


# نهاية التشافيزية؟

## فرص استمرار التوجهات الاشتراكية في أمريكا اللاتينية

**استطاع هوجو تشافيز– الرئيس الفنزويلي السابق– أن يترك تأثيراً كبيراً، ليس فقط على فنزويلا، ولكن على مجمل قارة أمريكا اللاتينية، فقد كان أول من ضرب مثالاً على أنه يمكن لشخص يساري أن يصل إلى السلطة من خلال انتخابات ديمقراطية حرة، وأن يقوم بتحدي سياسات الليبرالية الجديدة في شقها الاقتصادي، ويقدم نموذجاً اشتراكياً بديلاً، استطاع من خلاله القضاء على الفقر، وخفض معدلات عدم المساواة.**

وتهدف هذه المقالة لتحليل فرص استمرارية التوجهات التشافيزية بعد موت الزعيم الكاريزمي هوجو تشافيز، وذلك من خلال الإشارة إلى التحديات التي يواجهها الرئيس الفنزويلي الحالي نيكولاس مادورو، ومدى نجاحه في مواصلة سياسات سلفه تشافيز، فضلاً عن التداعيات الإقليمية والدولية لغياب تشافيز.

### أولاً: انهيار النموذج التشافيزي في الداخل

اتسم نظام حكم تشافيز، الذي امتد على مدار أربع عشرة سنة (1999 – 2013)، بسمتين رئيسيتين هما: الديمقراطية غير الليبرالية، والشعبوية، وتعرف الديمقراطية غير الليبرالية كذلك باسم "نظام الحكم الهجين" (Hybrid Regieme) والديمقراطية الزائفة (Pseudo Democracy) والاستبدادية الجديدة[1]، وهي ظاهرة أصابت كثيراً من البلدان التي كانت تسعى للتحول الديمقراطي، وتتميز الديمقراطية غير الليبرالية بأنها تجمع بين بعض الصفات الديمقراطية، كوجود مؤسسات منتخبة وبعض الممارسات الاستبدادية.

وبصورة أكثر تفصيلاً، تتمثل السمات الأساسية المميزة لنظام الحكم الهجين فيما يلي:

**1- الاعتراف ببعض الحقوق السياسية:** كإقامة انتخابات دورية ولكنها لا تتسم بالتنافسية الكاملة، إذ يكون هناك مستوى معين من الانتهاكات التي تمارسها سلطة الدولة، ومنها مثلاً مضايقة المرشحين للانتخابات من أحزاب المعارضة، لكن من دون أن يعني ذلك تزوير الانتخابات على نطاق واسع[2].

**2- تآكل نظام "الرقابة والفصل بين السلطات":** وتحديداً السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.

**3- عدم استقلال وسائل الإعلام[3]:** أي أن هناك تدخلاً حكومياً للتأثير على استقلالية وسائل الإعلام.

**4- عدم احترام تقسيم السلطة الليبرالي:** وهو ما يعني أن البرلمان يكون ضعيفاً في مواجهة السلطة التنفيذية، وأن القضاة يخضعون لضغوط من جانبها كذلك، الأمر الذي يفقدهم استقلاليتهم، وأن الحكومة لها الحرية في حكم البلاد بموجب مراسيم رئاسية، من دون الرجوع إلى البرلمان، وهو ما يفتح المجال أمام استشراء الفساد.

وتمثل الشعبوية السمة الثانية للنظام السياسي الذي أقامه تشافيز، وقد استلهمها من الزعيم الراحل سيمون بوليفار، محرر معظم بلدان أميركا اللاتينية من الحكم الإسباني، وكان هدفه الرئيس تمثيل الفقراء والمهمشين في النظام السياسي.

وعلى الرغم من أن الباحثين لم يتوصلوا إلى إجماع حول

هذه السمة، فإن أحد التعريفات الشائعة تعرف الشعبوية على أنها: "شكل من الممارسة السياسية تتميز بخطاب عدواني واستقطابي يقسم المجتمع إلى فئتين هما: الشعب (الأخيار/ الفقراء)، والأوليجاركية، وهي الأقلية الحاكمة (الأشرار/ النخبة)، كما يتسبب هذا الخطاب في تغيير العلاقة بين الدولة والمجتمع من خلال تأسيس علاقة مباشرة بين الزعيم والقاعدة[4].

وبسبب مركزية شخصية تشافيز في تشييد المشروع الذي أطلق عليه اسم "اشتراكية القرن"، لابد من التمييز بين لحظتين فارقتين في التشافيزية[5]، أولاهما عندما أصبح تشافيز حاكماً للبلاد، وثانيتهما قيام نيكولاس مادورو بتولي رئاسة الأرجنتين عقب وفاة تشافيز، ومواصلة التوجهات التشافيزية.

وخلال المرحلة التشافيزية الأولى، والتي امتدت من تولي هوجو تشافيز رئاسة فنزويلا في فبراير 1999، وحتى وفاته في مارس 2013، نجد أن فنزويلا استطاعت تحقيق معدلات نمو تاريخية، وتحقيق تقدم جدي في عملية الدمج الاجتماعي، أي تحسين الأوضاع المعيشية للطبقات الفقيرة، كما ساعدت زيادة الإنفاق الاجتماعي على شعور طبقات عديدة بالرخاء الاقتصادي.

فقد انخفضت نسبة الفقر من 54% في العام 2003 إلى 24% في العام 2012، إضافة إلى انخفاض نسبة البطالة وتراجع معدلات عدم المساواة، كما تحسن قطاع التعليم وقطاع الصحة أيضاً، وتحسن أداء مؤشر جيني، وهو أهم مقياس لعدالة توزيع الدخل، من 51 نقطة في العام 2002 إلى 39 نقطة في 2011[6].

وقد ساعدت أسعار النفط على تحقيق هذه الإنجازات على المستوى الاجتماعي، فعندما تولى تشافيز الحكم في عام 1999، كان سعر البرميل الواحد من النفط الفنزويلي 9 دولارات في السوق الدولية، لكنه وصل في عام 2012 إلى 103 دولارات، كما أنشأ تشافيز مجالس مجتمعية محلية من أجل "دمقرطة" عملية صنع القرار، وضمان مشاركة قطاع عريض من الشعب فيها، لكن هذه الشبكة سرعان ما أصبحت في نهاية المطاف خاضعة لمصالح الرئيس، وأداة لتنفيذ سياساته[7].

وعلى الجانب الآخر، عانت التشافيزية من إخفاقات مهمة، ومنها زيادة معدل الجريمة، وانعدام الأمن، فضلاً عن ارتفاع التضخم واستشراء الفساد، بالإضافة إلى الاعتماد الكبير على النفط (الدولة الريعية)، وقمع المعارضين وإضعاف المؤسسات الديمقراطية.

أما المرحلة الثانية، فتأتي عقب وفاة الرئيس تشافيز، وفوز الاشتراكي مادورو بالانتخابات الرئاسية، والذي يمثل امتداداً لنهج تشافيز، لكن المفارقة هنا أن مادورو استطاع الفوز في انتخابات أبريل 2013 بفارق ضئيل عن أقرب منافسيه، إذ لم يتجاوز الفارق بينهما 1.5%، في حين أن تشافيز فاز بالانتخابات الرئاسية في أكتوبر 2012، متفوقاً عن أقرب منافسيه بحوالي 11%، وهو ما يعني أنه إذا كانت الانتخابات ضمنت أن تيار تشافيز مستمر في الحكم لمدة ست سنوات قادمة، إلا أن مادورو يواجه تحديات كبيرة[8].

وقد افترض العديد من المتابعين للشأن الفنزويلي بأن الرئيس مادورو سوف يقوم بالإصلاحات الاقتصادية اللازمة من أجل تجنب تدهور الوضع الاقتصادي، والتكلفة السياسية المرتبطة بذلك، ولكنه على النقيض من ذلك، اعتبر مادورو أنه يواجه حرباً اقتصادية أمريكية، وحملها مسؤولية تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد.

وكنتيجة للتباطؤ في إدخال الإصلاحات الاقتصادية اللازمة، ارتفع التضخم إلى 5.1% في أكتوبر 2013، كما أن مؤشر الندرة (Scarcity Index) وصل إلى 22.4%، أي أنه في أي متجر تجزئة، فإن 22.4% من السلع الاستهلاكية الأساسية غير متوفرة، وفضلاً عما سبق، فإن أسعار النفط، والتي يعتمد الاقتصاد الفنزويلي على عائدتها بحوالي 95%، قد انهارت من 99 دولار للبرميل في يونيو 2013 إلى 48 دولار بنهاية ديسمبر 2014[9].

> حدثت أزمة زعامة في أمريكا اللاتينية عقب وفاة تشافيز، بل وتعرض النموذج الفنزويلي لتحديات كبيرة نتيجة لتدهور أوضاعها الاقتصادية، مما أفقد النموذج الفنزويلي جاذبيته، وبالتالي قدرته على التأثير على دول أمريكا اللاتينية.

يضاف إلى ما سبق، طبيعة خطاب مادورو، والذي كان استقطابياً، ويميل إلى تخوين المعارضة، كما تم تقليص الحريات السياسية إلى درجة لم تشهدها فنزويلا تحت حكم تشافيز، ليس فقط فيما يتعلق بقمع التظاهرات والاحتجاجات، بل أيضاً في مجال السيطرة على وسائل الإعلام.

ومما سبق، لم يكن من المستغرب أن تظهر استطلاعات الرأي المختلفة تزايد شعبية المعارضة على حساب الحكومة، ففي نهاية العام 2014، تم إجراء استطلاع لرأي الفنزويليين عن مدى رضاهم عن الوضع الحالي في بلادهم، وأجاب 70% منهم بأن الوضع "سيئ حقاً" أو "سيئ"، وفيما يتعلق بطريقة إدارة مادورو لأمور البلاد، أجاب 59% من المشمولين بالاستطلاع بأنها كانت سيئة أو شديدة السوء، في حين قال 86% منهم إنهم يشعرون بأن الأداء الاقتصادي للحكومة كان سيئاً أو شديد السوء[10].

## ثانياً: التداعيات الإقليمية لغياب تشافيز

كان للكاريزما التي يتمتع بها تشافيز تأثير هائل في أمريكا اللاتينية، حيث استطاع الزعيم الراحل تعزيز العلاقات بين دول أمريكا اللاتينية، سواء على مستوى العلاقات الثنائية أو العلاقات متعددة الأطراف، كما أنشأ تشافيز آليات لتعزيز الاندماج الإقليمي.

ولذلك فإن غياب تشافيز عن المشهد الإقليمي كانت له تداعياته السلبية على المشروع البوليفاري، القائم على معاداة الإمبريالية الأمريكية، واقتصاد السوق الحر، ويمكن إرجاع ذلك إلى أسباب عدة:

1- غياب الشخصية الكاريزمية التي تخلف تشافيز، فالرئيس الفنزويلي الحالي نيكولاس مادورو لا يتمتع بالشخصية الكاريزمية، وينطبق القول نفسه على المرتبطين بالمشروع البوليفاري – التشافيزي في أمريكا اللاتينية، مثل كريستينا فرناندیز رئيسة الأرجنتين.

2- استثمار تشافيز جانب كبير من عائدات فنزويلا النفطية لتوسيع المشروع البوليفاري، ومن ذلك "تحالف البترو كاريبي"– الذي أسسه تشافيز في 2005 ويضم فنزويلا و17 دولة أخرى منها 12 من دول البحر الكاريبي– فقد كان أداة حاسمة في سياسة تشافيز الخارجية، إذ كان يسمح للدول الثماني عشر الأعضاء فيه بشراء النفط من فنزويلا بأسعار تفضيلية وبخطط دفع ميسرة، وبالتالي فقد كان أداة مهمة لمقايضة النفط الرخيص مقابل النفوذ السياسي[11].

3- علاقات هوجو تشافيز الطيبة بفيدل كاسترو، وهو ما عزز من شرعيته.

ونتيجة لذلك، حدثت أزمة زعامة في أمريكا اللاتينية عقب وفاة تشافيز، وتعرض النموذج الفنزويلي لتحديات كبيرة نتيجة لتدهور أوضاعها الاقتصادية، مما أفقد النموذج الفنزويلي جاذبيته، وبالتالي قدرته على التأثير على دول أمريكا اللاتينية، وعلى الرغم من هذه التحديات، تعتبر معظم بلدان أميركا اللاتينية حليفة له، خاصة الأرجنتين وبوليفيا وكوبا.

## ثالثاً: سعي فنزويلا لاستعادة تأثيرها الدولي

عندما تولى مادورو الحكم في الأرجنتين، أدرك أن للبعد الدولي تأثيراً مهماً للحفاظ على شرعيته في الداخل، ودعم قوته في مواجهة خصومه الداخليين، وأثناء الأشهر الأولى من حكمه، وتحديداً في الفترة من 18 أبريل وحتى 15 يونيو 2013، سافر مادورو إلى ليما لحضور اجتماع اتحاد دول أميركا الجنوبية (أوناسور) وإلى كوبا وأوروغواي والأرجنتين وإيطاليا والبرتغال وفرنسا، كما حاول تحقيق تقارب مع إسبانيا والولايات المتحدة، لكنه لم يحقق نتائج إيجابية[12].

أما الدول المعادية لتشافيز، فحافظت على عدائها لمادورو، خاصة الولايات المتحدة الأميركية وإسبانيا، وقد تصاعدت حدة التوترات مع الأخيرة بسبب تورط رئيس وزرائها الأسبق، فيليب غونزاليس، في الدفاع عن زعيما المعارضة الفنزويلية ليوبولدو لوبيز وأنطونيو ليديزما.

وإضافة إلى ذلك، وجدت فنزويلا نفسها في عزلة دولية متزايدة، وذلك بسبب المفاوضات الأمريكية مع حلفائها السابقين، كما في مفاوضات الولايات المتحدة مع كل من كوبا وإيران، وبالرغم من هذه التحولات، تعتبر سياسة مادورو الخارجية استمراراً لسياسة تشافيز، والتي تستند إلى خطاب استقطابي يميز باستمرار بين أصدقاء وأعداء الأمة وزعيمها.

## الخاتمة

وفي التقييم، يمكن القول إن الرئيس مادورو يحتاج إلى تغيير سياساته الاقتصادية لمواجهة الأزمة التي يمر بها الاقتصاد الفنزويلي، خاصة أن تعزيز شرعيته في الداخل يتوقف على تحسين الأوضاع الاقتصادية للبلاد، وعلى الرغم من ذلك، فإن أكبر جوانب الضعف لدى مادورو هو افتقاره للشخصية الكاريزمية، في حكومة قام زعيم كاريزمي هو تشافيز بتأسيسها ومأسستها حوله، وتفتقد الآن إلى القيادة الكاريزمية[13].

ومن أحد المسارات المحتملة لمادورو تعديل الدستور، وتأسيس نظام سياسي يقوم على مبادئ الديمقراطية الليبرالية، كتقاسم السلطة، واحترام الحريات العامة، خاصة حرية الاحتجاج والتعبير.

وتظل هذه الاحتمالية مستبعدة، على الأقل، في المدى القصير، ففي 15 مارس 2015، منحت الجمعية الوطنية (البرلمان) صلاحيات استثنائية للرئيس من أجل محاربة التهديدات الأميركية الإمبريالية وكرد فعل على العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على كبار المسؤولين الفنزويليين، إذ تسمح هذه الصلاحيات لمادورو بسن قوانين من دون الرجوع للجمعية الوطنية.

وتعد هذه الإصلاحات الاقتصادية والديمقراطية أمراً حتمياً، إذا ما أراد مادورو والنخب البوليفارية ضمان الاستقرار والحفاظ على الشرعية اللازمين لبقاء تيار التشافيزية واستمرارها.

1- Ian O. Smith, Election boycotts and Hybrid Regime Survival, **Comparative Political Studies**, Vol. 47, no. 5, April 2014, p. 743.

2- Joakim Ekman, Political Participation and regime Stability: A Framework for Analyzing Hybrid Regimes, **International Political Science Review**, Vol. 30, no. 1, January 2009, p. 9.

3- Javier Corrales, Lo que el sueño se llevó, la herencia política de Chávez en Venezuela, **Vanguardia Dossier**, No. 49, October / December 2013, p. 9.

4- Margarita López Maya, Venezuela: The Political Crisis of Post-Chavismo, **Social Justice**, Vol. 40, No. 4 2014, p. 70.

5- Nicmer n. Evans, La Unidad del Chavismo y la Responsabilidad de Maduro, Cabello y Ramírez, **Vanguardia Dossier**, no. 46 October / December 2013, p. 16.

6- Antonio Lecuna, From Chavismo to a Democratic Left in Venezuela, **Dissent**, no. 60, Summer 2013, p. 28.

7- Margarita López maya, El Populismo y sus Tendencias, **Vanguardia Dossiers**, no. 49, October/ December 2013), p. 39.

8- Margarita López Maya, Venezuela: The Political Crisis of Post-Chavismo, **Social Justice**, Vol. 40, no. 4, 2014, p. 78.

9- David Smilde, The End of Chavismo?, **Current History**, Vol. 114, Issue 769, February 2015, p. 50.

10- Information extracted from National Survey Ómnibus (October 2014)

11- Benjamin Arditi, El giro a la izquierda en America Latina: una política post-liberal?, **Ciencias Sociais Unisinos**, Vol. 45, no. 3, Septiembre / Diciembre 2009, pp. 232 – 246.

12- Elsa Cardozo, La Gobernabilidad en Venezuela y la Seguridad Regional: Presente y Perspectivas, **Instituto Latinoamericano de Investigaciones Sociales**, October 2013, p. 9.

13- David Smilde, **op.cit**., p. 52.